

السيوطي وكتابه تناسق الدرر في تناسب السور دراسة وتحليل

وليد عوجان

كلية الشريعة، جامعة مؤنة، الأردن

ملخص

يعني هذا البحث بكتاب السيوطي: « تناسق الدرر في تناسب السور » وأهميته في مجال الإعجاز والدراسات القرآنية. والكتاب يركز على ناحية مهمة وهي الارتباط والاتصال بين السور القرآنية. وتعتمد هذه الطريقة على العقل والاستنباط والغوص على المعاني.

ولقد ابتدء الحديث في هذا البحث عن أهمية موضوع المناسبات بين السور القرآنية لأنه يتعلق بالإعجاز القرآني، ثم تحدث عن كتاب السيوطي « تناسق الدرر » وعلاقته بالكتب التي الفت قبله في هذا الموضوع. بعد ذلك تمت مناقشة آراء العلماء حول ترتيب السور القرآنية وهل كان الترتيب اجتهاداً من الصحابة أم أنه توقيفي، وتم التركيز على رأي السيوطي ومناقشته. ثم تم ذكر أنواع المناسبات التي ارتكز عليها السيوطي في الربط بين السور القرآنية، تبع ذلك خلاصة البحث التي أوضحت قيمة هذا الكتاب وأثره في الدراسات القرآنية.

Abstract

This paper intends to shed light on the importance of al-Suyyuti's book *Tanasuq al-Durar fi Tanasub al-Suwar* in the Quranic and rhetorical studies. It begins with clarifying the necessity for studying the background of the Quranic chapters (Suras). The controversy among Muslim scholars regarding the sequence of chapters (Suras), *Ijtihad*, is also tackled. Then a discussion of the types of backgrounds follows. The paper concludes with some remarks on the value and effect of the book on Quranic studies.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن من اللافت للنظر أن عناية المفسرين بموضوع التناسب بين السور وارتباط بعضها ببعضها الآخر كانت قليلة (١)، خاصة إذا ما حاولنا أن نقارن بين هذا العلم وبين غيره من العلوم القرآنية، وعلوم التفسير. إن الذي يبدو أن سبب الإعراض عن هذا الموضوع، إما لدقة هذا العلم، لأنه يعتمد على العقل والاستنباط، وإما لعدم الاعتقاد بوجوده أصلاً في القرآن (٢). أما القول بعدم أهميته فلم يصرح به أحد من العلماء، بل على العكس من ذلك نلاحظ الاهتمام الكبير بهذا العلم (٣). فالبقاعي (ت ٨٨٥) الذي ألف تفسيراً كاملاً بما يخص هذا العلم يؤكد على أن «نسبته (أي المناسبات) في علم التفسير نسبة علم البيان من النحو» (٤).

إن الحديث عن تناسب السور يعدّ لب الإعجاز القرآني لأن «ممارسة الكلام أن يرتبط بعضها ببعض لثلا يكون الكلام منقطعاً» (٥). وبيان ذلك - كما يقول الزرقاني - «أن القرآن الكريم نقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، أخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخادل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالآبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جملة وآياته، وجاء آخره مساوفاً لأوله، وبدأ أوله مواتياً لآخره» (٦).

يقول الفخر الرازي وهو يفسر سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته» (٧).

ومن خلال هذه المقدمة نستطيع أن نبين أن علم المناسبات في القرآن هو «علم يعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الترتيب، وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب حاله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كحلمة النسب» (٨). أما فائده، فهو - كما يقول الزركشي: «جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء» (٩).

لذلك فقد رأى الإمام البقاعي أن هذا العلم في غاية النفاسة وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها (١٠). وبهذا العلم «يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن في اللب

وذلك أنه يكشف للإعجاز طريقتين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب (١١).

ومن هنا فإن استخراج المناسبات لبيان جهة الإعجاز في القرآن الكريم يتبع العقل ويعتمد عليه، ويكون بإعمال الفكر والنظر إلى السابق واللاحق لبيان المناسبة بينهما.

والكتاب الذي بين أيدينا هو « تناسق الدرر في تناسب السور » (١٢) للإمام جلال الدين السيوطي، صاحب التصانيف الكثيرة التي بلغت خمسمائة كتاب (١٣). ويعد هذا العلامة بحق فريد عصره ونسيج وحده. ففي هذا الكتاب يركز السيوطي - وكما يظهر من عنوانه - على الترابط والتلاحم بين سور القرآن الكريم، فيبين المناسبة بين كل سورة والتي تليها، والتلازم في المعنى بين مواضيع السور في تنسيق بديع يصل إلى الذروة في البلاغة، مما يدل على أن عقلية السيوطي كانت عقلية فذة في الاستنباط والربط بين السورة والسورة.

وفي الحقيقة أننا إذا تأملنا معالجة السيوطي لهذا الموضوع، فإننا نلاحظ عظم هذا البحر الزاخر والجواهر البديعة. وكذلك نلاحظ تمكن هذا العالم وهو يعالج هذا الموضوع الدقيق. لأن إعمال الفكر يخرج لنا وجوهاً عديدة في نواحي الإعجاز، ومن يبحث فلن يعجز عن استخراج مثل هذه الوجوه، لأن مدار البحث يعتمد على العقل، والمعروف أن العقول تتفاوت في استخراج المناسبات. وسنبين فيما بعد أن السيوطي قد أبدع في معالجته لهذا الموضوع.

ويعد كتاب « تناسق الدرر » الكتاب الثاني المختص الذي بحث في موضوع السور في كتاب مستقل بعد كتاب أبي جعفر بن الزبير (ت ٧٠٧)، الذي حقق متأخراً (١٤)، وظن بعض العلماء أنه فقد ولم يصل إلينا (١٥). هذا مع العلم أن الإمام البقاعي قد نقل معظم هذا الكتاب في مؤلفه « نظم الدرر ». ولقد صرح البقاعي نفسه في مقدمة تفسيره أنه قد استفاد من كتاب أبي جعفر كثيراً، فقد قال في مقدمة كتابه: « وسأذكر في كل سورة ما قاله فيها بلفظه لئلا يشاء الله تعالى » (١٦).

ومن هنا فإننا نستغرب ادعاء مصطفى الزرقا في تقديمه لكتاب « نظرة العجلان في أغراض القرآن » بقوله: « إن الذين بحثوا في المناسبات كالبقاعي وغيره قد عنوا بالربط بين الآيات، ولم تتجه همهم إلى جمع السورة تحت غرض واحد (١٧). وسبب معارضتنا للزرقا أننا نجد من اهتم بهذا الموضوع وهذا الفن من العلماء والمفسرين. ولو أن الزرقا قال بقلة الاهتمام من العلماء بهذا الموضوع لوافقناه على ذلك وأيدناه، كما صرحنا في بداية البحث، ولكنه أكد اعتناء العلماء بالربط بين الآيات وإهمال البحث في الربط بين السور، وهذا لا نوافق عليه، لأننا نجد من تعرض لهذا الموضوع قديماً

وحديثاً ولكن ليس في مستوى هذا الفن وأهميته.

فالفخر الرازي الذي القى باللائمة على كثير من المفسرين الذين أعرضوا عن هذا العلم بقوله: «إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متبهيّن لهذه الأمور» (١٨)، قد وضع تفسيراً خافلاً بالمناسبات الكثيرة (١٩)، ولو أن هذه المناسبات جمعت في كتاب خاص، لكانت سجلاً عظيماً (٢٠). ولو نظرنا كذلك إلى كتاب أبي جعفر بن الزبير الذي وضع جل اهتمامه للحديث عن المناسبات، وكذلك ما نقله البقاعي عنه في حديثه عن المناسبات بين السور القرآنية لرأينا الاعتماد الكبير عليه (٢١).

وكتاب السيوطي الذي بين أيدينا ألف للحديث فقط عن المناسبات بين السور القرآنية. إن هذه الكتب وغيرها (٢٢) تبين عدم دقة ادعاء مصطفى الزرقا السابق. أضف إلى ذلك أن كتاب العجلان نفسه كان عالة على أولئك العلماء السابقين الذين كتبوا في المناسبات بين السور (٢٣).

ولقد عالج السيوطي موضوع المناسبات قبل وضع كتابه «تناسق الدرر» (٢٤)، وكان ذلك في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» (٢٥)، حيث تحدث عن اختلاف العلماء في ترتيب سور القرآن، هل هو توقيفي أم اجتهادي، ذكراً آراء العلماء في هذه القضية وأدلتهم، مبدئياً رأيه الخاص، ولكن هذا كله كان مختصراً ولم يقدم أي تطبيقات على سورة القرآن الكريم مثلما فعل في كتابه «تناسق الدرر» (٢٦)، حيث وقف عند جميع السور القرآنية وحسب الترتيب العثماني، فبين مناسبة كل سورة مع التي قبلها.

ولقد سمى السيوطي كتابه «تناسق الدرر في تناسب السور»، لأنه كما يقول: «أنسب بالسمى، وأزيد بالجناس» (٢٧). وكان السيوطي قد سماه - كما يقول: «ناتج الفكر في تناسب السور». ويقول أنه سماه كذلك: «لكونه من مستنتاجات فكري» (٢٨).

ولقد تم تحقيق هذا الكتاب من قبل عبد القادر عطا، الذي وجد نسخة واحدة ضمن مجموعة تتعلق بالتفسير. ثم قام السيد الجميلي بتحقيق الكتاب نفسه (٢٩) مذكراً أن هذا الكتاب قد حقق من قبل. وبهذا الصدد يقول الجميلي: «وقد قمنا بمراجعة النص، وزيادة على ذلك تخريج الآيات القرآنية، موضحين رقم السورة وكذلك رقم الآية، وذكر آراء المفسرين في بعض الأحيان مع الإشارة إلى المرجع ورقم الصفحة والطبعة في أغلب الأحوال. وضبط الأعلام والتعريف بغير المعروف منها، وتصحيح بعض الأخطاء والإشارة إلى ذلك...» (٣٠). والحقيقة أن المحقق الأول قام بكثير من الأمور التي ذكرها المحقق الثاني، ولم يأت المحقق الثاني بأي جديد يذكر، اللهم إلا أنه ذكر بعض

المصادر التفسيرية بالرقم والصفحة، وعند الرجوع إلى هذه المصادر لم يرد فيها أي شيء مما رجع المحقق إليه، لأن الغالب من الذي ذكره السيوطي كان من بنات أفكاره، والقليل من الذي أستشهد به السيوطي كان يعزوه إلى صاحبه. ومن هنا فالذي يبدو أن التحقيق الثاني هو تقريباً نسخة عن التحقيق الأول.

ولقد سبق القول أن السيوطي نفسه قد اختار عنوان كتابه، وارتأى أنه المناسب لعمله عندما وضع العنوان المناسب وهو : « تناسق الدرر في تناسب السور »، ومع هذا نجد أن المحققين قد غيرا باجتهادهما عنوان الكتاب إلى عنوانين آخرين، وهما يعلمان العنوان الحقيقي للكتاب الذي اختاره الإمام السيوطي، وذكره في قلب مخطوطته. لذا فإننا لا نتفق مع المحققين في تغيير عنوان الكتاب الذي اختاره مؤلفه.

أما بالنسبة للمحقق الأول (٣١)، فإننا نلاحظ أنه وضع العنوان الصحيح في الصفحة الأولى من تحقيقه، ولكننا إذا رجعنا إلى العنوان الداخلي بعد المقدمة، فإننا نجد العنوان الآتي وبالخط العريض : « أسرار ترتيب القرآن » للحافظ جلال الدين السيوطي (٣٢). أما السيد الجميلي - وهو المحقق الآخر - فلم يذكر العنوان الأصلي - البتة - في تحقيقه، إنما أتى بعنوان آخر وهو : « ترتيب سور القرآن » (٣٣). ويقول المحقق في هذا الخصوص وخلال الحديث عن طريقة التحقيق : « هذا الكتاب اسمه : « تناسق الدرر في تناسب السور وقد أثرنا تغييره إلى : « تناسق وترتيب سور القرآن » وذلك في نظرنا أنسب وأقرب للفهم (٣٤). ومن هنا فإننا نخالف تغيير العنوان الذي اختاره السيوطي لكتابه واعتبره هو المناسب لعمله. فليس من حق أي محقق تغيير أي شيء في التحقيق وخاصة فيما يتعلق بالعنوان.

السيوطي وآراء العلماء في ترتيب السور القرآنية:

يذكر السيوطي أن العلماء قد اختلفوا في علم ترتيب السور. فمنهم من اعتبره توقيفاً، ومنهم من اعتبره اجتهاداً من الصحابة بعد انتقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى (٣٥). ونستطيع أن نقسم هذه الآراء إلى أقسام ثلاثة :

- ١- من العلماء من يقول إن ترتيب السور القرآنية كان اجتهادياً.
- ٢- من العلماء من رأى أن ترتيب السور كان توقيفاً.
- ٣- ومن العلماء من قال إن ترتيب بعض السور توقيفي، والبعض الآخر كان اجتهادياً.

يذكر السيوطي أن من أنصار الرأي الأول الإمام مالكاً والقاضي أبا بكر في أحد قوليه، وجزم به ابن فارس. ودليلهم لذلك اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور. فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي، الذي كان حسب نزول القرآن. ومنهم من رتبها على النزول المكّي ثم المدني، كمصحف ابن مسعود الذي يبدأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران، على غير الترتيب العثماني. وأما أنصار الرأي الثاني، فمنهم القاضي أبو بكر في أحد قوليه وغيره. أما أنصار الرأي الثالث فقد أورد السيوطي أقوال بعضهم، منهم ابن عطية وأبو جعفر بن الزبير وابن حجر (٣٦).

وبعد عرض الأقوال نجد أن السيوطي يدلي بدلوه ويذكر رأيه الخاص في هذه القضية قائلاً:

« فإن قلت : فما عندك ؟ قلت : الذي عندي أولاً : تحديد محل الخلاف، وأنه خاص بترتيب سور الأقسام الأربعة، وأما نفس الأقسام الأربعة، من تقديم الطوال، ثم المثني، ثم المثاني، ثم الفصل، فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفي، وأن يدعى فيه الإجماع، وإن لم أر من سبقني إلى ذلك ... » (٣٧).

ثم يقول : « فإنما تحرر ذلك، ونظرنا إلى محل الخلاف، فالمختار عندي في ذلك: ما قاله البيهقي، وهو : أن ترتيب كل السور توقيفي، سوى الأنفال وبراءة » (٣٨).

وخلاصة رأي السيوطي في موضوع سور القرآن تتمثل في أن ترتيبها من عند الله عز وجل، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد علمه للأمة ما عدا سورتين من القرآن فقط، هما التوبة والأنفال.

وبما أننا نتحدث عن السيوطي ورأيه في هذا الموضوع، فإننا نلاحظ عدة نقاط مهمة عندما نقارن بين ما يقوله هنا، وما كان قد قاله في الإتيقان. هذا مع العلم أن ما ذكره في « الإتيقان » كان سابقاً على كتابه « تناسق الدرر »، لأننا نجد أن السيوطي من خلال كتابه « تناسق الدرر » يحيل إلى كتابه « الإتيقان » (٣٩).

إن هذه الملاحظات هي:

أولاً: نلاحظ أن السيوطي في « الإتيقان » يذكر أن القائلين بأن ترتيب السور القرآنية اجتهادي هم جمهور العلماء (٤٠). ولكن السيوطي لم يذكر جمهور العلماء في كتابه « الدرر ». مع أنه قد نقل في كتابه الأخير كل ما قاله في كتابه « الإتيقان » حرفياً.

ثانياً: ذكر السيوطي في كتابه « تناسق الدرر » أن القائلين بأن ترتيب السور القرآنية توقيفي هم

القاضي أبو بكر في أحد قوليه وخلائق. أما في كتابه الإتيقان فذكر أبا بكر فقط، ولم يذكر كلمة « خلائق » (٤١).

ثالثاً: ذكر السيوطي في كتابه « تناسق الدرر » أن: « الأقسام الأربعة، من تقديم الطوال، ثم المثني، ثم المثاني، ثم المفصل، فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفي » (٤٢). وهذا الأمر لم يذكره السيوطي في كتابه « الإتيقان ».

مما سبق، نستطيع أن نستنتج أن السيوطي قد مال كثيراً إلى الرأي القائل بأن ترتيب سور القرآن كان توقيفاً، والأدلة الواضحة على ذلك كثيرة، بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً. من هذه الأدلة :

١- قول السيوطي بأن الذين قالوا بالتوفيق بين الأقسام الأربعة هم الجمهور، على عكس ما قاله في « الإتيقان » بأن الذين قالوا بأن الترتيب بين السور كان اجتهادياً هم الجمهور . يقول السيوطي: «وأما نفس الأقسام الأربعة، من تقديم الطوال، ثم المثني، ثم المثاني، ثم المفصل، فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفي وأن يدعي فيه الإجماع » (٤٣).

٢- قول السيوطي في مقدمة كتابه « تناسق الدرر: » « فالحاصل أنني أقول: ترتيب كل المصاحف بتوقيف في العرصة الأخيرة على القراءات العثمانية » (٤٤).

٣- قول السيوطي وهو يبين مناسبة سورة « المسد » : « قال : فتأمل في هذه المجانسة الحافلة بين هذه السور، مع أن سورة « النصر » من أواخر ما نزل بالمدينة، و « الكافرون » و « تبت » من أوائل ما نزل بمكة، وليعلم أن ترتيب هذه السور من الله، وبأمره » (٤٥). هذا بالإضافة إلى أن مجرد تأليف كتاب يبرهن على قوة التناسب ودقة الارتباط والصلة بين السور القرآنية يعطي الدليل على أن السيوطي يقول بأن الترتيب توقيفي.

إن الذي يبدو هنا أن قول السيوطي بأن رأي جمهور العلماء من أن ترتيب سور القرآن الكريم اجتهادي، كان مأخوفاً من الإمام الزركشي الذي هو كما يبدو أول عالم قال بهذا الرأي (٤٦)، والذي نرجحه أن السيوطي قد أخذ منه هذا القول. والحقيقة أننا إذا أحصينا عدد الذين قالوا بأن ترتيب السور كان اجتهادياً فإننا نجدهم قلائل بالنسبة للذين قالوا بالتوقيف، حتى لو كان الإحصاء من خلال قول الزركشي في « البرهان » أو قول السيوطي في « الإتيقان ». هذا ونجد مع الأسف أن أغلب العلماء المحدثين قد أخذوا بقول الزركشي والسيوطي في كتابيهما : « البرهان » و « الإتيقان » من أن الترتيب كان اجتهادياً وأن ذلك هو رأي الجمهور واعتبر هذا الأمر عندهم من المسلمات دون أي تمحيص أو بحث (٤٧).

ومع هذا فإننا نجد أن السيوطي ينكر على أولئك الذين قالوا بأن ترتيب السور كان اجتهادياً، والدليل على ذلك عنده هو قوله: « وما يدل على ذلك ويؤيده، توالي الخواميم، وذوات « الر »، والفصل بين المسبحات، وتقديم « طس » على القصص، مفصلاً بها بين النظيرتين « طسم والشعراء » و « طسم والقصص » في مطلع الطول، وكذا الفصل بين الإنفطار والإنشاق بالمطففين، وهما نظيرتان في المطلع والمقصد، وهما أطول منها، فلولا أنه توقيفي لحكمة لتوالت المسبحات، وأخترت « طس » عن القصص، وأخترت « المطففين » أو قدمت، ولم يفصل بين « الر » و « الر » (٤٨).

بعد هذا العرض لأقوال العلماء وأدلتهم، ومنهم السيوطي، نؤكد هنا بعض الأمور البديهية التي لا تحتمل النقاش ثم نبين رأينا في هذه المسألة، لأنه لا بد لنا من مناقشة هذه القضية لنبين فيها وجه الحق.

البديهية الأولى هي: أن أسماء سور القرآن كانت معروفة بين الصحابة في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم- (٤٩) ولكنهم لم يكتبوها في المصحف، لأنهم لم يكتبوا في المصحف إلا لفظ الوحي فقط، فلم يكتبوا أسماء السور ولا كون السور مكية أو مدنية ولا يشيرون إلى الأجزاء وغيرها، وكانوا يقولون: « جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء » (٥٠).

يقول السيوطي: « ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك » (٥١).

والبديهية الثانية هي: أن عدداً من الصحابة كانوا يحفظون القرآن الكريم، وبعضهم حفظ القرآن في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتحت إشرافه (٥٢). ولا بد أن هؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - قد حفظوا القرآن على نسق معين، عرفوه من النبي - عليه السلام -.

والبديهية الثالثة هي: أن الصحابة كانوا يواظبون على قراءة القرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - يأمرهم بتعاهده (٥٣). والأدلة على شغف الصحابة بالقرآن وقراءته كثيرة بلغت حد التواتر.

من هنا نلاحظ أن ترتيب القرآن كان معروفاً في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتعلمه الصحابة منه، ولم يكن اجتهادياً. قال ابن حجر: « وما يدل على أن ترتيب السور توقيفي، ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفى: قال كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف... فذكر الحديث وفيه: فقال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « طراً علي حزبي

من القرآن، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه » قال أوس: فسألنا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلنا كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه، ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من « ق » حتى نختم. فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٥٤).

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء، أنهن من العتاق الأولى، وهن من (٥٥) تلادي (٥٦).

وهناك أحاديث كثيرة ومتعددة، امتلأت بها كتب الحديث والتفسير، ذكرت بها ترتيب السور على نسق المصحف العثماني، على زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - (٥٧).

ولذلك يقول الإمام الحافظ أبو عمرو الداني: « القول عندنا في تأليف السور وتسميتها وترتيب آيها في الكتابة إن ذلك توقيف من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإعلام منه به، لتوفر مجيء الأخبار بذلك، واقتضاء العادة كونه كذلك، وتواطؤ الجماعة عليه » (٥٨).

إن الرأي القائل بأن ترتيب السور باجتهاد الصحابة لم يستند إلى دليل يعتمد عليه. لأن اجتهاد الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختياراً منهم، قبل أن يجمع القرآن جمعاً مرتباً. فلما جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان اجتمعت الأمة على ذلك وتركوا مصاحفهم، ولو كان الترتيب اجتهادياً لتمسكوا بمصاحفهم، ولوقع الخلاف وأبدى بعضهم وجهة نظره في هذا الترتيب.

أما رأي الإمام السيوطي بأن جميع سور القرآن توقيفي ما عدا سورتي الأنفال والتوبة، فيستند إلى حديث ابن عباس الذي نصه:

« أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المشاني، وإلى براءة وهي من المثين، ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر » بسم الله الرحمن الرحيم « ووضعتوها في السبع الطوال؟

فقال عثمان: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولم يبين أنها منها،

فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: « بسم الله الرحمن الرحيم »، ووضعتها في السبع الطوال (٥٩).

ولعل وجه استدلال من استدل بهذا الحديث أن إنكار ابن عباس على وضع الأنفال وبراءة هذا الموضع دون انكاره على غيرهما لا يكون إلا إذا كان يرى أن ترتيب السور القرآنية كان توقيفياً فيما عداهما على الأقل. وأن اعتذار عثمان إنما كان من وضع هاتين السورتين هكذا لعدم علمه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما أمر في شأنهما، من حيث الترتيب أو من حيث كونهما سورة أو سورتين.

ونحن لا ندع هذا الحديث يمر للتدليل على عدم التوقيف في الترتيب بين سورتَي الأنفال والتوبة دون أن نقف عنده، ونطرح بعض القضايا التي تحتاج إلى مناقشة من خلال نص الحديث. فلا بد إذن أن يكون هناك عدة أسئلة تحتاج إلى إجابة، قبل الإقتناع والاستسلام لهذا الرأي.

وأول هذه الأسئلة وأهمها هو: ما مدى صحة هذا الحديث ؟

لقد قال ابن كثير عنه: « الحديث في الترمذي وغيره بإسناد جيد قوي » (٦٠). ومن هنا كان رأي ابن كثير على أن ترتيب جميع سور القرآن توقيفي ما عدا سورتَي الأنفال والتوبة.

أما الترمذي، الذي هو أحد رواة الحديث، فقال: « هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. ويزيد الفارسي هو من التابعين من أهل البصرة ... » (٦١).

إن الذي نلاحظه في سند هذا الحديث أن إسناده يدور - وفي كل رواياته - على « يزيد الفارسي » الذي اعتبر من الضعفاء (٦٢). ولقد ناقش أحمد محمد شاكر هذه القضية بأسهاب ووصل إلى خلاصة هي أن يزيد الفارسي « يذكره البخاري في الضعفاء، فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الشاذة بالتواتر القطعي، قراءة وسماعاً وكتابة في المصحف، وفيه تشكيك في اعتبار البسملة في أوائل السور كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له » (٦٣).

أما من حيث المتن فهناك أيضاً عدة أسئلة:

إن من المعروف أن سورة الأنفال نزلت بعد معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة، وسورة التوبة نزلت في السنة التاسعة للهجرة وبعد غزوة تبوك، فكيف يحتمل إذن أن يبقى النبي - عليه السلام - أكثر من خمسة عشر شهراً قبل انتقاله - عليه السلام - إلى الرفيق الأعلى دون أن يبين للأمة

أن التوبة من الأنفال أو مستقلة عنها، خاصة إذا عرفنا أن الحديث الصحيح يصرح بأن جبريل عليه السلام كان يعرض القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - كل سنة مرة في شهر رمضان، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين « (٦٤) ». وحاشا للنبي - عليه السلام - أن يكون تأخر عن البيان أو انتقل إلى الرفيق الأعلى قبله. هنا مع العلم أن النبي - عليه السلام - قد سمي كل سورة من هاتين السورتين باسمها (٦٥). ومن هنا فإن تسمية كل سورة باسمها يعطي الدلالة على أنهما منفصلتان. يقول الفخر الرازي: « يبعد أن يقال إنه - عليه الصلاة والسلام - لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الأنفال ؛ لأن القرآن مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله - صلى الله عليه وسلم - على الوجه الذي نقل « (٦٦) ».

وأمر آخر وهو أننا نلاحظ ومن خلال ألفاظ الحديث أن السؤال هو عن اقتران سورتي الأنفال والتوبة وترك البسملة، وجعل السورتين في محل سورة واحدة. ونلاحظ أن الجواب كان مطابقاً للسؤال ولم يتعرض لترتيب السورتين، بل كان الجواب: « قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر » بسم الله الرحمن الرحيم ». وكذلك نلاحظ أننا « لو أجزنا في بعض السور ألا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي لأجزنا مثله في سائر السور، وفي آيات السورة الواحدة... بل الصحيح أنه - عليه الصلاة والسلام - أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الأنفال وحياً، وأنه - عليه السلام - حذف « بسم الله الرحمن الرحيم » من أول هذه السورة وحياً » (٦٧).

وكذلك فإنه قد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة مستقلة غير سورة التوبة. ومن هنا كان قول الزركشي: « إن سور القرآن، مائة وأربع عشرة سورة، بإجماع أهل العقد والحل » (٦٨). وقال السيوطي: « أما سور القرآن، فمائة وأربع عشرة سورة، بإجماع من يعتد به » (٦٩).

ثم إن عثمان - رضي الله عنه - يقول « فظننت أنها منها » وظنه هذا ليس حجة في أمر القرآن، فإنه « وإن لم يقف على ما يفيد القطع في براءة والأنفال، وفعل ما فعل بناء على ظنه إلا أن غيره وقف، وقبل ما فعله ولم يتوقف... » (٧٠). وأيضاً « فإن هذا الظن لم يمنعه من ترك فاصل بينهما، دون كتابة سطر. » بسم الله الرحمن الرحيم « ولم لا يكون علم بعد ذلك ؟ بدليل موافقة أبي بن كعب وغيره من أصحاب المصاحف على ترتيب مصحف عثمان » (٧١).

ثم إن « تسمية كل سورة من السورتين باسم خاص أطلق عليها يدل على أن مدلول كل منهما مختلف عن الآخر، فقد سمي النبي - صلى الله عليه وسلم - كل سورة من السورتين باسم خاص » (٧٢). ولكن اعتقد أنهما سورة واحد « لأنهما متحدتان في الموضوع وهو وضع الأسس التي

بها يقوم الكيان الإسلامي الداخلي والخارجي، وفي الهدف وهو معالجة شؤون المسلمين وإن اختلفت هذه الشؤون لاختلاف زمن نزولها، أقول نظراً لاتحاد السورتين في الموضوع والهدف، فوق ما هنالك من وجوه المناسبات بينهما، الواضحة، قيل أنهما سورة واحدة، والمراد كالسورة الواحدة من باب التشبيه البليغ، فالتوبة كالمثمة للأنفال « (٧٣) ».

ومن خلال الوجوه التي ذكرها السيوطي للربط بين سورتَي التوبة والأنفال نستطيع أن نجعلها دليلاً لنا على أن السورتين منفصلتان. يقول السيوطي عن مناسبة سورة براءة: « أن صدرها (٧٤) تفصيل لإجمال قوله في الأنفال: « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » (٧٥). وآيات الأمر بالقتال متصلة بقوله هناك: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (٧٦)، ولذا قال هنا في قصة المنافقين: « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة » (٧٧). ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر، هو: أنه سبحانه في الأنفال تولى قسمة الغنائم، وجعل خمسها خمسة أخماس (٧٨)، وفي براءة تولى قسمة الصدقات، وجعلها لثمانية أصناف (٧٩)، (٨٠).

ومهما يكن من أمر، فإن هذا الترتيب الذي نجده الآن في المصاحف تم في الصدر الأول من الإسلام، وأجمعت الأمة على هذا الترتيب، ومضت على قبوله والعمل به إلى اليوم، حتى كان العمل به والوقوف عنده لازماً لا يجوز التحول عنه أو المصير إلى غيره، مهما قيل في أصله ومستنده، أتوقيفي أم اجتهادي.

أنواع مناسبات السور القرآنية من خلال كتاب السيوطي:

إن معرفة المناسبات ليس أمراً توقيفياً، ولكنها تعتمد كما قلنا على اجتهاد المفسر ومدى غوصه في النص للبحث عن المعاني، ويعتمد أيضاً على مبلغ تلوقه للإعجاز القرآني وأسرار البلاغة. فكلما كانت المناسبة دقيقة المعنى منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية، كانت مقبولة ولطيفة.

ولقد ذكر السيوطي في كتابه « تناسق الدرر » أربعة أنواع للمناسبات بين السور القرآنية في قوله « وقال بعضهم: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم.

الأول: بحسب الحروف، كما في الحواميم وذوات « السر ».

الثاني: لموافقة آخر السورة لأول ما بعدها، كآخر « الحمد » في المعنى وأول « البقرة ».

الثالث: الوزن في اللفظة، كآخر « تبت » وأول « الإخلاص ».

الرابع: لمشابهاة جملة السورة لجملة الأخرى، ك « الضحى » و « ألم نشرح » (٨١).

وقال بعضهم: إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها، ثم يخفى تارة، ويظهر أخرى، (٨٢).

وهذا الذي ذكره السيوطي قد عزاه لغيره كما هو واضح من النص. ولم يبين هو رأيه الخاص في أنواع المناسبات (٨٣). ولكن من خلال تطبيقه للمناسبات بين السور القرآنية، نلاحظ أنه ركز على كثير من المناسبات لم يذكرها صراحة وإنما تفهم من خلال الربط الذي قام به السيوطي. لذا فإنني سأقوم بترتيب أنواع المناسبات التي تعرض لشرحها، كما أفهم من شرحه للمناسبات، مع العلم أن السيوطي قلما يذكر وجهاً واحداً للمناسبة بين السور. فعادة يذكر أكثر من وجه، قد تصل إلى ستة وجوه كما في سورة البقرة (٨٤)، وقد تصل إلى تسعة وجوه، كما في سورة النساء (٨٥).

وابتدئ بالحديث عن المناسبات التي ذكرها السيوطي عن بعضهم، ثم بعد ذلك أذكر المناسبات التي فهمتها من خلال ربطه لمناسبات السور القرآنية.

١: المناسبات التي ذكرها السيوطي في معرض الحديث عن ترتيب السور القرآنية:

١- نوع من المناسبات يكون بسبب الحروف

وقد يمكن تسمية هذا النوع بمناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما قبلها، لأن هذه المناسبة تتعلق بفواتح السور. ولقد ذكر السيوطي هذا النوع في المقدمة (٨٦)، مثلاً لذلك بالسور التي ابتدأت بالحروف المقطعة: «حم» و«الر». فسورة «يونس» و«هود» و«يوسف» كلها ابتدأت بالحروف المقطعة «الر». وهذه السور جاءت مرتبة. وكذلك السورتان «إبراهيم» و«الحجر» ابتدأت بالحروف المقطعة «الر» وجاءتا على التوالي كذلك. وجاءت السور: «غافر» فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف» كلها مرتبة، وجميعها ابتدأت بالحروف المقطعة «حم» (٨٧).

٢- مناسبات تكون لموافقة آخر السورة لأول ما بعدها

وقد سمى السيوطي هذا النوع: «متشابه الأطراف» (٨٨). يقول السيوطي وهو يتحدث عن الربط بين سورة آل عمران وسورة البقرة: «وأمر آخر استقرئه، وهو: أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد» (٨٩).

ويمثل لهذا النوع بآخر سورة الحمد وأول سورة البقرة. ويبين لنا وهو يربط بين سورتي الفاتحة والبقرة بقوله: «وقال الخويي (٩٠): أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة الفاتحة، لأن الله تعالى

لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى، قال: قد أعطيتكم ما طلبتم، هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه، وقد أهديتكم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول. ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة، فذكر الذين على هدى من ربهم، وهم المنعم عليهم، والذين اشتروا الضلالة بالهدى، وهم الضالون، والذين باءوا بغضب من الله، وهم المغضوب عليهم «(٩١)».

والظاهر، أن السيوطي قد ركز على هذا النوع تركيزاً ملحوظاً. ففي الحديث عن مناسبة سورة النساء لآل عمران يقول السيوطي: «إن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة «النساء» (٩٢) به، وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع يسمى: «تشابه الأطراف» (٩٣).

ونلاحظ الاهتمام الكبير بهذا النوع عندما نقف مع السيوطي وهو يربط بين سورتي «النساء» و«المائدة». يقول: «وقد ختمت المائدة بصفة القدرة، كما افتتحت النساء بذلك (٩٤). وافتتحت النساء ببدء الخلق، وختمت المائدة بالمتنهي من البعث والجزاء (٩٥)، فكأنهما سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المتنهي» (٩٦).

وفي الحديث عن المناسبة بين سورتي المائدة والأنعام قال السيوطي «مناسبة هذه السورة لآخر المائدة أنها افتتحت بالحمد، وتلك ختمت بفصل القضاء، وهما متلازمان، كما قال: «وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» (٩٧).

وفي الحديث عن ارتباط سورتي الأنعام والأعراف قال السيوطي «وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام فهو: أنه قد تقدم هناك «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه» (٩٨). وقوله «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه» (٩٩) فافتتح هذه السورة أيضاً باتباع الكتاب في قوله «كتاب أنزل اليك ... إلى .. «اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم» (١٠٠) «(١٠١)».

وعند الحديث عن الارتباط بين سورتي النحل والحجر قال السيوطي «أقول: وجه وضعها بعد سورة الحجر، أن آخرها شديد الإلتصام بأول هذه، فإن في آخر تلك «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» (١٠٢) الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله هنا «أتى أمر الله» (١٠٣) «(١٠٤)».

٣- مناسبات للوزن في اللفظة

ويعطي مثالا على ذلك بآخر سورة «المسد» وأول سورة «الإخلاص». ويبين ذلك وهو يربط بين السورتين بقوله في سورة الإخلاص: «قال بعضهم (١٠٥): وضعت ههنا للوزان في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة «تَبَّتْ» (١٠٦).

وعند الربط بين سورتي الفلق والناس، يقول السيوطي: 'وقدمت الفلق - وإن كانت أقصر منها- لمناسبة مقطعيها في الوزان لفواصل الإخلاص، مع مقطع ثبت (١٠٧).

٤- مناسبات لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى

يعطي السيوطي مثالا على ذلك بسورتي 'الضحى' و'الانشراح'. ويفصل ذلك وهو يربط بين مناسبة هاتين السورتين بقوله، وهو يتحدث عن سورة الانشراح: 'أقول: هي شديدة الاتصال بسورة الضحى، لتناسبها في الجمل. ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما (١٠٨). قال الإمام: والذي دعاهم إلى ذلك هو أن قوله: 'ألم نشرح' كالعطف على: 'ألم يبدك بيتما فأوى' في الضحى (١٠٩).

هذه هي الأنواع الأربعة التي تعد عند الإمام السيوطي أسباب الربط بين السور القرآنية. والحقيقة أن هناك أنواعاً أخرى طبقها السيوطي واستعملها خلال ربطه بين السور، ولم يذكرها مع هذه الأنواع التي ذكرها في المقدمة. وسنحاول أن نستنبط هذه الأنواع من خلال التطبيق الذي قام به للربط بين السور القرآنية. ب-: أنواع المناسبات التي لم يذكرها السيوطي في مقدمة كتابه 'التناسق' وإنما فهمت من خلال ربطه للمناسبات بين السور القرآنية:

١- التفصيل بعد الإجمال

من الأنواع المهمة التي ركز عليها الإمام السيوطي في كتابه هو التفصيل بعد الإجمال، حتى أنه عدّها القاعدة التي استقر عليها القرآن. قال السيوطي وهو يتحدث عن سورة الفاتحة: 'إن القاعدة التي استقر بها القرآن، أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناج لإيجاره. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلاً وقصيراً... (١١٠). وتبدو أهمية هذا النوع بقول عبدالرحمن البرقوقي: 'فإن المعنى إذا لقي مبهماً تأقت نفس السامع إلى معرفته مبيناً، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا لقي كما تشتبهى تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به اتم' (١١١).

ونلاحظ من خلال الربط بين سورة البقرة وآل عمران أنه يقول: 'أقول قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات: أحدها مراعاة القاعدة التي قررتها، من شرح كل سورة لإجمال ما في السورة التي قبلها، وذلك هنا في عدة مواضع:

منها: أن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه لا ريب فيه (١١٢). وقال في سورة آل عمران: 'نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه' (١١٣) وذلك بسط وإطناج، لنفي الريب عنه.

ومنها: أنه قال في البقرة إنزال الكتاب مجملاً، وقسمه هنا إلى آيات محكمات ومتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله (١١٤).

ومنها: أنه قال في البقرة: ' وما أنزل من قبلك ' (١١٥) وقال هنا: ' وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ' (١١٦) مفصلاً. وصرح بذكر الإنجيل هنا، لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح به في سورة البقرة بطولها، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة، لأنها خطاب لليهود. ومنها: أن ذكر القتال وقع في سورة البقرة مجملاً بقوله: ' وقاتلوا في سبيل الله ' (١١٧) وقوله: ' كتب عليكم القتال ' (١١٨). وفصلت هنا قصة أحد بكمالها (١١٩).

ومنها: أنه أوجز في البقرة ذكر المقتولين في سبيل الله بقوله: ' أحياء ولكن لا تشعرون ' وزاد هنا: ' عند ربهم يرزقون ' فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ' (١٢٠) وذلك إطناب عظيم.

ومنها: أنه قال في البقرة: ' والله يؤتي ملكه من يشاء ' (١٢١) وقال هنا: ' قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتميز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير أنك على كل شيء قدير ' (١٢٢) فزاد إطناباً وتفصيلاً.

ومنها: أنه حذر من الربا في البقرة، ولم يزد على لفظ الربا إيجازاً (١٢٣). وزاد هنا قوله: ' أضعافاً مضاعفة ' (١٢٤) وذلك بيان وبسط.

ومنها: أنه قال في البقرة: ' وأتموا الحج ' (١٢٥) وذلك إنما يدل على وجوب إجمالاً. وفصله هنا بقوله: ' ولله على الناس حج البيت ' (١٢٦) وزاد: بيان شرط الوجوب بقوله: ' من استطاع إليه سبيلاً ' (١٢٧). ثم زاد تكفير من جحد بقوله: ' ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ' (١٢٨).

ومنها: أنه قال في البقرة، في أهل الكتاب: ' ثم توليتهم إلا قليلاً منكم ' (١٢٩)، فاجمل القليل. وفصله هنا بقوله: ' ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ' (١٣٠).

ومنها: أنه قال في البقرة: ' قل إنما جئنا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ' (١٣١). فدل بها على تفضيل هذه الأمة على اليهود تعريضاً لا تصريحاً، وكذلك قوله: ' وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ' (١٣٢) في تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم بلفظ فيه يسير إبهام، وأتى في هذه بصريح البيان فقال: ' كنتم خير أمة أخرجت للناس ' (١٣٣) فقوله: '

كتم' أصرح في قديم ذلك من ' جعلناكم'. ثم زاد وجه الخيرية، بقوله: ' تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله' (١٣٤).

ومنها: أنه قال في البقرة: ' ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام' (١٣٥) الآية. وبسط الوعيد هنا بقوله: ' إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة' (١٣٦) الآية، وصدره بقوله: ' وإن من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل' (١٣٧).

وعلى نفس الأسلوب يربط السيوطي بين سورة النساء وسورة البقرة (١٣٨). وخلال الحديث عن مناسبة سورة المائدة يقرر السيوطي كذلك العلاقة بين هذه السورة وسورة البقرة، بحيث يعدها شارحة لبقية مجملات البقرة، ويبين بالشرح والتفصيل الممتع مستشهداً بالآيات على استنتاجاته (١٣٩).

والحقيقة أن السيوطي قد اهتم كثيراً بهذا النوع من المناسبة، حتى أننا نلاحظ أنه قلما تخلو سورة القرآن لم يجعل السيوطي من مناسبتها ما قبلها أنها شارحة لما أجمل من أحكام وتعاليم في السورة التي قبلها. ومن هنا فإن قناعتنا تأكّد بأن السيوطي كان مقتنعاً - نظرياً وعلمياً - لما قاله بهذه الخصوص: ' إن القاعدة التي استقر بها القرآن، أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناج لإيجازه. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طویلها وقصیرها' (١٤٠).

٢- مناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما قبلها

لقد اهتم السيوطي بهذا النوع أيضاً من خلال التطبيق الذي قام به لإظهار الترابط بين السور القرآنية. فعند الحديث عن الحواميم قال السيوطي: ' أقول وجه أیلا الحواميم السبع سورة الزمر: تأخي المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب. . وذلك مناسبة جلیلة. ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح بـ 'حم'، ويذكر الكتاب بعد 'حم' وأنها مكیة، بل ورد في الحديث أنها نزلت جملة' (١٤١). ثم يقول: ' وانظر إلى مناسبة ترتيبها، فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر، ومطلع فصلت التي هي ثانیة الحواميم مناسب لمطلع هود، التي هي ثانیة ذوات 'الر' ومطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان، وكذا مطلع الجاثية لمطلع الاحقاف' (١٤٢).

وعند الحديث عن الربط بين سورتي البقرة وآل عمران يقول السيوطي: ' ومن الوجوه المناسبة لتقديم آل عمران على النساء: اشتراكهما مع البقرة في الافتتاح بانزال الكتاب، وفي الافتتاح بـ 'الم'، وسائر السور المفتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة، كيونس وتوالياها، ومريم وطه،

والطواسين، و' ألم العنكبوت وتواليها والحواميم، وفي ذلك أول دليل على اعتبار المناسبة في الترتيب بأوائل السور' (١٤٣).

وقال وهو يربط مناسبة سورة الكهف، وأنها جاءت بعد سورة الإسراء أن' مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء: افتتاح تلك بالنسب، وهذه بالتحديد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام، بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو' فسبح بحمد ربك' (١٤٤)، وسبحان الله وبحمده (١٤٥).

وقال السيوطي وهو يربط بين سورتي العنكبوت والقصص: ' أقول ظهر لي في وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لما أخبر في أول السورة السابقة (القصص) عن فرعون' علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم' (١٤٦)، افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان، بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بني إسرائيل، تسلياً لهم بما وقع لمن قبلهم، وحشاً لهم على الصبر، ولذلك قال هنا: ط ولقد فتنا الذين من قبلهم' (١٤٧) وهذه أيضاً من حكم تأخير القصص على ' طس' (١٤٨).

٣- مناسبة خاتمة السورة لخاتمة ما قبلها

قال السيوطي وهو يربط بين مناسبتي سورة العنكبوت مع سورة القصص ' فلما كان في خاتمة القصص الإشارة إلى هجرة النبي (١٤٩)- صلى الله عليه وسلم- وفي خاتمة هذه إشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله: ' يا عبادي إن أرضي واسعة' (١٥٠) ناسب تتاليهما (١٥١).

وقال وهو يربط بين سورتي الصف والجمعة: ' وايضاً لما ختم تلك السورة بالأمر بالجهاد وسماء تجارة، ختم هذه بالأمر بالجمعة، وأخبر أنها خير من التجارة الدنيوية' (١٥٢). وخلال حديث السيوطي عن الربط بين سورتي الفرقان والشعراء يقول: ' ولما ختم الفرقان بقوله: ' وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً' (١٥٣) وقوله: ' وإذا مروا باللغو مروا كراماً' (١٥٤) ختم هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك، واستثنى منهم من سلك سبيل أولئك، وبين ما يمدح من الشعر ويدخل في قوله ' سلاماً' وما يذم منه ويدخل في اللغو (١٥٥)' (١٥٦).

٤- مناسبة السور القرآنية لاتحاد الموضوع

تنبه السيوطي لهذا النوع من المناسبات، ووقف عنده في كثير من معالجته لارتباط السور القرآنية. ففي الحديث عن مناسبة سورة النمل لسورة الشعراء التي قبلها قال السيوطي: ' وجه اتصالها بما قبلها: أنها كالتتمة لها في ذكر بقية القرون فزاد سبحانه فيها ذكر سليمان وداد. (١٥٧) ... '.

وخلال ربط السيوطي بين سورتي الإسراء والكهف يقول: ' ثم ظهر لي وجه آخر أحسن في الاتصال. وذلك أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي- صلى الله عليه وسلم- عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وقد ذكر جواب السؤال الأول في آخر سورة بني إسرائيل، فناسب اتصالها بالسورة التي اشتملت على جواب السؤالين الآخرين، فإن قلت: هلا جمعت الثلاثة في سورة واحدة؟ قلت لما لم يقع الجواب عن الأول بالبيان، ناسب فصله في سورة' (١٥٨).

ولقد عدَّ السيوطي هذا النوع هو الرابط بين سورتي الفتح والحجرات، فيقول: ' لا يخفى تأخى هاتين السورتين، الفتح والحجرات، مع ما قبلها لكونهما مدينتين ومشتملتين على أحكام. فتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة' (١٥٩). ' (١٦٠).

وفي الحديث عن الربط بين سورتي الرحمن والواقعة قال السيوطي: ' أقول: هذه السورة متأخية مع سورة الرحمن في أن كلاً منها وصف القيامة والجنة والنار وانظر إلى اتصال قوله هنا: ' إذا وقعت الواقعة' (١٦١) بقوله هناك: ' فإذا انشقت السماء' (١٦٢) ولهذا اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء وفي الواقعة على ذكر رج الأرض، فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة' (١٦٣).

٥- المناسبة اللفظية

ويظهر هذا النوع من خلال الأمثلة التالية: قال السيوطي عن مناسبة سورة النجم لسورة الطور: ' أقول: وجه وضعها بعد الطور: أنها شديدة المناسبة لها، فإن الطور ختمت بقوله ' وإدبار النجوم' (١٦٤) وافتتحت هذه بقوله ' والنجم إذا هوى' (١٦٥) ' (١٦٦). وخلال الربط بين سورتي ' المسد' و ' الإخلاص' يقول السيوطي: ' قال بعضهم (١٦٧): وضعت ههنا للوزان في اللفظ بين فواصلها وكقطع سورة ' تبت (١٦٨) ' (١٦٩).

٦- المقابلات (١٧٠) بين السور القرآنية.

إن ' صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق، ومتى أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد' (١٧١).

يقول ابن جني عن شرعية المقابلات في القرآن الكريم ولغة العرب: ' اعلم أن هذا القبيل من هذا

المعلم كثير، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم' (١٧٢).

وهذا النوع من المناسبات لم يهمله السيوطي، فقد تناوله في أكثر من مناسبة. ففي إظهار الترابط بين سورتي الواقعة والرحمن يقول السيوطي: ' أقول، هذه السورة متأخبة مع سورة الرحمن في أن كلا منهما في وصف القيامة والجنة والنار. وأنظر إلى اتصال قوله هنا: ' إذا وقعت الواقعة' (١٧٣) بقوله هناك: ' فإذا انشقت السماء' (١٧٤). ولهذا اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء، وفي الواقعة على ذكر رج الأرض (١٧٥). فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما في سورة واحدة.

ولهذا عكس في الترتيب. فذكر في أول السورة ما ذكره في آخر تلك، وفي آخر هذه ما في أول تلك.. فافتتح الرحمن بذكر القرآن، ثم ذكر الشمس والقمر، ثم ذكر النبات، ثم خلق الإنسان، والجان من مارج من نار، ثم صفة القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة.

وابتدأ هذه بذكر القيامة ثم صفة الجنة، ثم صفة النار، ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم النجوم، ولم يذكرها في الرحمن، كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر القرآن. فكانت السورة كالمقابلة لتلك، وكرد العجز على الصدر' (١٧٦).

وخلال حديثه عن المناسبة في سورة الكوثر قال السيوطي: ' قال الإمام الفخر الرازي: هي كالمقابلة للتي قبلها، لأن السابقة وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة. وذكر في هذه السورة في مقابلة البخل ' أنا أعطيتك الكوثر' أي الخير الكثير. وفي مقابلة ترك الصلاة: ' فصل' أي دم عليها. وفي مقابلة الرياء: ' لربك' أي لرضاء، لا للناس. وفي مقابلة منع الماعون: ' وانحر' وأراد التصديق بلحوم الأضاحي. قال: فاعتبر هذه المناسبة العجيبة' (١٧٧).

٧- مناسبة التضاد (١٧٨)

وهذا النوع لم يغفل عنه السيوطي في كتابه، وعدّه وجهاً بيناً بديعاً (١٧٩). وسنرى كيف عالج الإمام هذا النوع من البديع. يقول السيوطي وهو يبين مناسبة سورة النجم: ' ووجه آخر: أن الطور ذكر فيها ذرية المؤمنين، وأنهم تبع لأبائهم (١٨٠)، وهذه (النجم) فيها ذكر ذرية اليهود في قوله: ' هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض' (١٨١). ولما قال هناك (الطور) في المؤمنين: ' ألحقنا بهم ذريتهم وما آلتناهم من عملهم من شيء' (١٨٢) أي ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين، مع نفهم بما عمل آبائهم، قال هنا (النجم) في صفة الكفار أو بني الكفار: ' وأن ليس للإنسان إلا ما

سمى' (١٨٣)، خلاف ما ذكر في المؤمنين الصغار. وهذا وجه بين بديع في المناسبة، من زادي التضاد' (١٨٤).

وخلال حديث السيوطي عن مناسبة سورة ' الماعون' قال : ' أقول: لما ذكر تعالى في سورة قريش: ' الذي أطعمهم من جوع' (١٨٥) ذكر هنا ذم من لم يحض على طعام المسكين. ولما قال هناك: ' فليعبدوا رب هذا البيت' (١٨٦) ذكر هنا من سها عن صلاته (١٨٧).

وفي الربط بين سورتي الجمعة والمنافقون قال السيوطي: ' أقول: وجه اتصالها بما قبلها، أن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون، وهذه ذكر فيها اضدادهم وهم المنافقون. ولهذا أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة يحرص بها المؤمن، وبسورة المنافقين يفزع بها المنافقين (١٨٨)' (١٨٩).

٨- مناسبة فواتح السور وخواتمها

قال البلاغيون: ' يجب أن يكون الكلام بارع المطلق، له روعة تستهوي اللب، وتستخف السمع، ويكون عذب اللفظ حسن السبك، صحيح المعنى لأنه أول ما يقرع السمع، فإذا كان بهذه المنزلة وقع من القلب موقعاً حسناً وأقبل عليه السامع' (١٩٠).

وموضوع الاستهلال والابتداء فيما يتعلق بفواتح السور من المواضيع التي اهتم بها العلماء كثيراً وخاصة البلاغيين منهم، وأطلقوا على هذا النوع ' حسن الابتداء' (١٩١) أو ' براعة الاستهلال' (١٩٢) وبهذا الخصوص يقول ابن أبي الأضيق (ت ٤٥٦): ' وإذا نظرت إلى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه... ' (١٩٣) ومن الجدير بالذكر أن ابن أبي الأضيق قد ألف كتاباً في هذا الفن سماه: ' الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح' (١٩٤).

أما السيوطي فقد اهتم بهذا النوع من المناسبة، فمن خلال حديثه عن مناسبة سورة النساء تعرض لبراعة الاستهلال والافتتاح بقوله: ' وأما سورة النساء، فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدوره لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله: ' يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها'. وقال: ' واتقوا الله الذي تتساءلون به والأرحام'. فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة والافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السور من أحكام: من نكاح النساء ومحرماته، والموارث المتعلقة بالأرحام، وأن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم، ثم خلق زوجته منه، ثم بث منهما رجالاً كثيراً ونساء في غاية الكثرة' (١٩٥).

أما حسن الختام فقد اهتم به العلماء كثيراً (١٩٦) يقول ابن أبي الأضيق عن براعة حسن الختام: ' فيجب على الشاعر والناثر ان يختما كلامهما بأحسن خاتمة فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال. فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها' (١٩٧). أما القرآن الكريم ' فجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعدها تطلع ولا تشوف إلى ما يقال... ' (١٩٨).

وقد جاء القرآن الكريم حائزاً على براعة الاستهلال والافتتاح وحسن الختام وسنرى معالجة السيوطي لهذه القضية.

يقول السيوطي عند حديثه عن سورة الفاتحة: ' افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة، لأنها جمعت مقاصد القرآن، ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن، وأم الكتاب والأساس. فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال' (١٩٩) ثم جاء بشواهد من أقوال العلماء تبين اشتمال الفاتحة على مقاصد القرآن الكريم، كقول الفخر الرازي: ' المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر' ثم يبين بالتفصيل أن الفاتحة قد اشتملت على كل هذه المقاصد، فقال: ' فقلوه: الحمد لله رب العالمين يدل على الإلهيات، وقوله: مالك يوم الدين، يدل على نفى الجبر وعلى إثبات ان الكل بقضاء الله، وعلى النبوات، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة، التي هي المقصد الأعظم من القرآن' (٢٠٠).

أما عن براعة الختام في آخر السور القرآنية وهي سورة الناس فيبين السيوطي ارتباط سورتي الفاتحة والبقرة في أول الكتاب بسورتي الفلق والناس في خاتمة الكتاب ويخلص إلى القول: ' فكان افتتاح القرآن بهما نظير اختتامه بسورتي الفلق والناس، المشتركين في التسمية بالمعوذتين' (٢٠١) وعن حسن البراعة في الختام يقول: ' ثم أنه سبحانه ختم كتابه المكرم بتلك الطريقة التي هي أشرف. فبدأ بذكر صفات الله وشرح جلاله في سورة الإخلاص. ثم اتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في الفلق، ثم ختم بذكر مراتب النفس الإنسانية في الناس، وعند ذلك ختم الكتاب. فسبحان من أرشد العقول إلى معرفة هذه الأسرار الشريفة في كتابه المكرم' (٢٠٢).

هذا عن براعة الاستهلال وحسن الختام في القرآن الكريم، أما عن الاستهلال والختام في السورة الواحدة فلم يهمله السيوطي، فقد ركز عليه كنوع من أنواع المناسبة فمثلاً يقول بعد ان تحدث عن سورة النساء: '... وهذا وجه بديع... ولهذا كان صدر سورة النساء في ذكر اليهود، وآخرها في ذكر النصارى' (٢٠٣).

٩- الاعتراض بين السور

يبين السيوطي أن سورة المائدة وإن جاءت بعد سورة النساء من حيث الترتيب العثماني، ومع وجود المناسبة القوية بينها وبين النساء (٢٠٤) إلا أن لها اعتلاقاً مع سورة الفاتحة وسورة البقرة أيضاً. أما اعتلاقها بسورة الفاتحة فيبينه السيوطي بقوله: ' ففيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة: بيان المغضوب عليهم والضالين في قوله: ' قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه' (٢٠٥) الآية، قوله: ' قد ضلوا من قبل واضلوا عن سواء السبيل (٢٠٦)' (٢٠٧). وأما علاقتها بسورة البقرة فيقول: ' هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة، فإن آية الأطعمة والبائث فيها أبسط منها في البقرة (٢٠٨). وكذا ما أخرجه الكفار تبعاً لأبائهم في البقرة (٢٠٩) موجز، وفي هذه السورة مطنب ابلغ إطناب في قوله: ' ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة' (٢١٠). وفي البقرة ذكر القصاص في القتل (٢١١)، وهنا ذكر أول من سن القتل والسبب الذي لأجله وقع، وقال: ' من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً (٢١٢)' . . . الخ (٢١٣).

وفي مكان آخر من كتابه، يقول الإمام السيوطي وهو يتحدث عن مناسبة سورة النحل: ' وظهر لي أن هذه السورة شديدة الاعتلاق بسورة إبراهيم (وسورة الحجر تقع بين سورة النحل وسورة إبراهيم) وإنما تأخرت عنها لمناسبة الحجر في كونها من ذوات 'الر' وذلك أن سورة إبراهيم وقع فيها ذكر فتنة الموت (٢١٤)، ومن هو ميت وغيره، وذلك أيضاً في هذه بقوله: ' الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم' (٢١٥) الآيات. فذكر الفتنة، وما يحصل عندها من الشبات والإضلال، وذكر هنا ما يحصل عقب ذلك من النعيم والعذاب (٢١٦).

ووقع في سورة إبراهيم: ' وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم وإن كان مكرمهم لتزول منه الجبال' (٢١٧). وقيل إنها في الجبار الذي أراد أن يصعد السماء بالنسور (٢١٨). ووقع هنا أيضاً في قوله: ' قد مكر الذين من قبلهم' (٢١٩).

ووقع في سورة إبراهيم ذكر النعم، وقال عقبها: ' وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها' (٢٢٠) ووقع هنا ذكر ذلك معقباً بمثل ذلك (٢٢١).

١٠- المطابقة بين السور

قلنا عند الحديث عن المقابلة إن الفرق بينها وبين المطابقة يكمن في ناحيتين: أحدهما: أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين فذيين، والمقابلة تكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد: ضدين في صدر

الكلام، وضدين في عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر، وخمسة في العجز والثاني أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد (٢٢٢). ولقد وقف السيوطي عند هذا النوع من المناسبات. فمثلاً يقول السيوطي وهو يربط بين مناسبة سورتي البقرة وآل عمران: 'ومن الوجوه في ذلك أيضاً: اشتراكهما في التسمية بالزهرابين، في حديث 'اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران' فكان افتتاح القرآن بهما نظير اختتامه بسورتي الفلق والناس، المشتركتين في التسمية بالمعوذتين' (٢٢٣). وعند حديثه عن مناسبة سورة الناس لسورة العلق ينقل السيوطي أقوال الفخر الرازي في أن مطابقة سورة الفلق لسورة الناس هي من تمام الانطباق' (٢٢٤).

١١- مناسبة طول السور وقصرها

هذه المناسبة لم تغب عن بال السيوطي، فقد رأى أن طول السور وقصرها سبب في تقديم سورة على أخرى. فمن وجوه تقديم البقرة والبدء بها على رأي السيوطي هو كونها أطول سورة. يقول: 'الوجه الرابع: أنها أطول سورة في القرآن، وقد افترج بالسبع الطوال فناسب البداءة بأطوالها' (٢٢٥). ويقول أيضاً وهو يربط بين سورتي الحجر وإبراهيم: '... وانما اخرت عنها (أي عن سورة إبراهيم) لقصرها بالنسبة إليها، وهذا القسم من سور القرآن للمئين، فناسب تقديم الأطول' (٢٢٦).

وفي الربط بين سورتي البروج والطارق، قال السيوطي: 'أقول: هما متآخيتان، وقدمت الأولى لطولها' (٢٢٧).

يقول محمد رشيد رضا: 'من نظر في ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر...' (٢٢٨).

١٢- العلاقة النحوية

إن الذي يبدو أن السيوطي لم يغفل عنه من المناسبات الربط النحوي، فعند الربط بين سورتي قريش والفيل، قال السيوطي: 'هي شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور في أولها، بالفعل في آخر تلك. ولهذا كانتا في مصحف أبي سورة واحدة' (٢٢٩).

١٣- مناسبة الترتيب حسب النزول

ولقد اعتبر السيوطي الترتيب حسب النزول نوعاً من أنواع الربط بين السور القرآنية. فمثلاً يعتبر أن من وجوه البدء بسورة البقرة بعد الفاتحة مباشرة كونها أول سورة نزلت في المدينة، فيقول: 'الوجه الخامس: أنها أول سورة نزلت بالمدينة فناسب البداءة بها، فإن للأولية نوعاً من الأولوية' (٢٣٠).

وكذلك يقول: ' وقد رويناه عن ابن عباس وجابر بن زيد، في ترتيب النزول: ان يونس نزلت، ثم هود، ثم يوسف (٢٣١). وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور الثلاث، لترتيبها في النزول هكذا' (٢٣٢).

وفي الربط في المناسبة بين سورتي ' سأل' وسورة 'الحاقة'، قال السيوطي: ' أقول: هذه السورة كالتحمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار. وقال ابن عباس: انها نزلت عقب سورة الحاقة (٢٣٣) وذلك ايضاً من وجوه المناسبة في الوضع (٢٣٤).

بعد هذه الجولة لمعرض وجوه المناسبات التي اهتم بها السيوطي تبين لنا حسن صنيعة في الربط ودقته في التفسير وفهمه الثاقب لروح القرآن. لقد أكد السيوطي خلال معالجته لهذا الموضوع ان ارتباط سور القرآن بعضها ببعض متسقة المعاني منتظمة المباني. ولهذا نستطيع القول: إن عقلية الإمام كانت عقلية فذة في ربط السور القرآنية، فلقد رآناه يربط بين مناسبات السور القرآنية في سلك واحد يجعل معانيها متسقة كل الاتساق. والحقيقة ان البراعة ودقة الذوق والتمكن كانت واضحة خلال إظهاره لوجوه المناسبات بين السور. لقد استخرج من القرآن تناسق درره لبسه في صرح مشيد وهو الكشف عن وجه من وجوه أعجازه.

والذي نلاحظه هنا، انه كثيراً ما يذكر عدة وجوه للمناسبات بين السور في بعض الأحيان يجعل كثيراً في المناسبة، كما فعل في عقد مناسبة الطلاق والحاقة والجن والعلق والبيئة وقريش والكافرون والفلق والناس.

ونجد السيوطي أحياناً ينقل عن غيره، خاصة الفخر الرازي، الذي كان معجباً به إلى حد أن يصف كلامه ' بأنه لطيف' (٢٣٥). فقد نقل عنه مناسبة سورة الكوثر كاملة (٢٣٦). ونقل عنه مناسبات السور القرآنية من 'الضحى' إلى 'الناس' في آخر كتابه (٢٣٧) باعتباره ' كلاماً لطيفاً في مناسبات هذه السور' (٢٣٨). ونقل كذلك كلام الزمخشري (٢٣٩) والفخر الرازي (٢٤٠) والبيضاوي (٢٤١) والغزالي (٢٤٢) في مناسبة سورة الفاتحة.

ونلاحظ كذلك أن السيوطي: ' في بعض الأحيان، يكتفي بالمناسبات اللفظية بين السور ولم يتعرض لما بينها من مناسبات أخرى، فمثلاً عند الحديث عن مناسبة سورة قریش، قال السيوطي: ' هي شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في آخر تلك' (٢٤٣)، مع ان مناسبتها للسورة التي قبلها في غاية الوضوح حيث ان ' كلتا السورتين تذكيران بنعم الله على أهل مكة، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك عدوهم الذي جاء لهدم البيت الحرام اساس مجدهم وعزهم، وهذه

السورة تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقق الله بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار والامساك بزمام الاقتصاد التجاري في الحجاز، بالقيام برحلتين صيفاً إلى الشام إلى اليمن' (٢٤٤).

وعند الحديث عن مناسبة سورة الفلق للناس قال السيوطي: 'وقدمت الفلق على الناس - وإن كانت أقصر منها- لمناسبة مقطعها في الوزن لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت' (٢٤٥). ولقد كان صادفاً عندما صرح في المقدمة بقوله: 'وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه عليه، ولا أذكر منه إلا ما استحسن، ولا انتقاد عليه' (٢٤٦). والحقيقة أن الكتاب فيه الكثير الكثير من مستنتاجات فكره.

من هنا نستطيع أن نخرج إلى أن الكتاب قيم، فلقد قام السيوطي، وبكل براعة، في الجانب الذي من أجله ألف هذا الكتاب، وهو كما قال: 'لقد أردت أن أفرد جزءاً لطيفاً من نوع خاص من هذه الأنواع، هو مناسبات ترتيب السور، ليكون عجالة لمريده، وبغية لمستفيده، وأكثر من نتاج فكري، وولاد نظري' (٢٤٧). فكثيراً ما نراه يذكر: 'قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات...، وظهر لي...، فقد ظهر لي... إلى آخر هذه العبارات، التي تدل وبصدق على أن الغالب كان من نتائج فكره' (٢٤٨).

إن كل هذه الأمور تبين لنا صدق قوله: 'ولكنه من مستنبطاتي، ولم أعثر فيه على شيء لغيري إلا السير الذي صرحت بعزوي له' (٢٤٩).

ولقد استفاد منه كثير من العلماء والمؤلفين الذين كتبوا في هذا الفن، ونوهوا بفائدة هذا الكتاب (٢٥٠) حتى أن بعضهم ينقل أحياناً منه حرفياً دون أن يذكر أنه أخذ منه (٢٥١). إن الأمر المسلم به أن هذا الكتاب قد خدم القرآن الكريم، وعزز نوعاً من أنواع التفسير كان البحث فيه نادراً. فقد اهتم جل العلماء بالتفسير التقليدي وأهملوا كثيراً من جوانب التفسير المهمة، كهذا النوع مثلاً.

وأخيراً، إن الذي قام به السيوطي أظهر عجب أسلوب القرآن وبديع ترتيبه، وإبان أنه لا ارتباط أحسن من هذا الارتباط ولا تناسق أبعد من هذا النسق' (٢٥٢) ولقد انزل الله كتابه المجيد' على أحسن أسلوب، وبهر بحسن أساليبه وبلاغة تركيبه القلوب، نزله آيات بينات، وفصله سوراً وآيات، ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب، ونظمه اعظم نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب' (٢٥٣). وكما يقول دراز: 'أي تدبير محكم، وأي تقديم مبرم، وأي علم محيط لا يضل ولا ينسى، ولا يتردد ولا يتمكث، كان قد أعد له هذه المواد المبعثر نظاماً، وهذاها في إبان تشيبتها إلى ما قدره لها، حتى صيغ منها ذلك العقد العظيم، وشرى بينها هذا المزاج العجيب؟... أليس ذلك وحده آية بينة على أن هذا النظم القرآني ليس من وضع بشر، وإنما هو صنع العليم الخبير؟... (٢٥٤).

الهوامش

١- الزركشي، بدرالدين، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، عيسى الحلبي، القاهرة (١٩٥٧)، ٣٦/١؛ الفخر الرازي، محمد بن عمر بن حسن التميمي البكري، أبو عبد الله (ت ٦٠٦)، مفاتيح الغيب، ط ١، القاهرة (١٣٣٤)، ٣٩٤/٢؛ الشاطبي، إبراهيم، أبو اسحاق (ت ٧٩٠)، الموافقات في أصول الشريعة، شرح وضبط وترقيم، محمد عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت (١٩٧٥)، ٤١٤-٤١٥؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١٠)، تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت (١٩٨٦)، ٥٤؛ عبد العزيز جابوش، تفسير أسرار القرآن، مطبعة الهداية، الاستانة (١٣٣١)، ص ١٧؛ بنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط ٣، دار المعارف، القاهرة (١٩٦٨)، ص ١٨.

٢- كالعز بن عبد السلام الذي يقول: «... فإن القرآن نزل على الرسول - عليه السلام - في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض...». وكقول الشوكاني: «اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وتعالى، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعمسات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه...» انظر: العز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن (ت ٦٦٠)، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ط ١، دار البشائر الإسلامية، القاهرة (١٩٨٧)، ٢٢١؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت (١٩٨٣)، ٧٢/١.

٣- يبدو أن أبا بكر النيسابوري (ت ٣٢٤) هو أول من أظهر فكرة المناسبة ونبه إلى جلالة قدرها وعاب على العلماء لتقصيرهم في الكشف عن أسرارها. انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٢٢/٣.

٤- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، برهان الدين أبو الحسن (ت ٨٨٥)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، طبع بإشراف محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند (١٩٦٩-١٩٧٠)، ٤/١.

- ٥- المرجع السابق، ٤/١.
- ٦- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (ب.ت)، ٥٣/١.
- ٧- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ١٢٨/٧.
- ٨- البقاعي، نظم الدرر، ٥/١.
- ٩- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١.
- ١٠- البقاعي، نظم الدرر، ٦/١.
- ١١- المصدر السابق، ١١/١.
- ١٢- تحقيق، عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٦). وفي الطبعة هي التي سنعتمد عليها في البحث.
- ١٣- السخاوي، شمس الدين، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسي، القاهرة (١٣٥٣)، ٦٦/٤-٧٠؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠)، البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، القاهرة (١٣٤٨)، ١٨٧/٢؛ ابن العماد، عبد الحفي بن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة (١٣٥٠-١٣٥٢)، ٥٣/٨-٥٥؛ السيوطي، جلال الدين (ت ٩١٠)، طبقات المفسرين، ليدن (١٨٣٩)، ص ٤-١٢.
- ١٤- قام بتحقيقه سعيد الفلاح، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة التعليم العالي، الرياض (١٤٠٨/١٩٨٨).
- ١٥- محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ٦٨.
- ١٦- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٨/١.
- ١٧- ابن شهيد ميسلون، محمد بن كمال أحمد الخطيب، نظرة العجلان في أغراض القرآن، نشر المطبعة العصرية، دمشق، انظر: المقدمة، لمصطفى الزرقا، ص ج.
- ١٨- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ١٢٨/٧.

- ١٩- انظر على سبيل المثال ربطه لسورة البقرة مع سورة الفاتحة، التفسير الكبير، ٢/٨٣-١٠٥.
- ٢٠- انظر تفصيل اعتناء الفخر الرازي لموضوع المناسبات في كتاب: محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ط١، القاهرة (١٩٧٩)، ٤٧-٦٧.
- ٢١- البقاعي، نظم الدرر في تناسب السور، ٢٨/١.
- ٢٢- هناك تفاسير وكتب حديثة قبل كتاب العجلان اهتمت بالمناسبات في القرآن، من أهمها: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط٤، مطبعة محمد صبيح، (١٩٥٤)؛ محمود شلتوت، تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم، ط٤، دار القلم (١٩٦٦)؛ محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، مطبعة السعادة، (١٩٦٠).
- ٢٣- محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ٢٠٦-٢٠٢.
- ٢٤- أما رايق محمد أحمد اصعيدي فقد اعتبر أن السيوطي قد ألف «الإتقان» بعد كتابه «تناسق الدرر»، وهذا الرأي بعيد عن الصحة كما سيظهر فيما بعد. انظر: رايق محمد أحمد اصعيدي، محقق النوع الحادي والخمسين حتى نهاية الثالث والستين من كتاب: الإتقان في علوم القرآن، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا (١٩٩٢)، ص٣٧٤.
- ٢٥- لقد ذكر السيوطي كتابه «الإتقان» وأشار إليه في كتاب «تناسق الدرر» وأحال عليه القراء في أكثر من موضع. انظر مثلاً: تناسق الدرر، ص٥٦.
- ٢٦- والجدير بالذكر أن السيوطي قد استل كتابه من كتاب آخر من مؤلفاته هو أسرار التنزيل. انظر: السيوطي، تناسق الدرر، ٥٣-٥٤.
- ٢٧- السيوطي، تناسق الدرر، ص٥٥.
- ٢٨- المرجع السابق، ص٥٥.
- ٢٩- نشر مكتبة الهلال، ط١، بيروت (١٩٨٦).
- ٣٠- المرجع السابق، ص٢٣-٢٤.
- ٣١- وهو عبد القادر أحمد عطا السالف الذكر.
- ٣٢- السيوطي، تناسق الدرر، ص٥١.

- ٣٣- وضع هذا العنوان في الداخل والخارج على السواء.
- ٣٤- السيوطي، ترتيب سورة القرآن، تحقيق، السيد الجميلي، ص ٢٣.
- ٣٥- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٥٦-٥٨.
- ٣٦- نفس المرجع السابق والصفحة.
- ٣٧- المرجع السابق، ص ٥٩.
- ٣٨- المرجع السابق، ص ٦٠.
- ٣٩- المرجع السابق، ص ٥٦.
- ٤٠- السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، ط ٣، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (١٩٥١)، ٦٢/٢.
- ٤١- السيوطي، الإتيقان، ٦٢/٢. وقارن ب « تناسق الدرر »، ص ٦٠.
- ٤٢- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٥٩.
- ٤٣- المرجع السابق، ص ٥٩.
- ٤٤- المرجع السابق، ص ٦١.
- ٤٥- المرجع السابق، ص ١٤٦.
- ٤٦- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٥٧/١.
- ٤٧- انظر على سبيل المقال : أمير عبدالعزيز، دراسات في علوم القرآن، ط ١، دار الفرقان، عمان (١٩٨٣)، ١١٣؛ عدنان زرزور، القرآن ونصوصه، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق (١٩٨٠)، ٩٦-٩٧؛ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مطبعة الرسالة، الطبعة الثالثة.
- ٤٨- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٦٠.
- ٤٩- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٦٩/١؛ السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ١٥٠/١.
- ٥٠- ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد، أبو بكر، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ط ١، حيدر آباد الدكن، الهند (١٩٦٧)، ٤٩٧/٢؛ اللاتني، عثمان بن سعيد، أبو عمر، المحكم في

نقط المصحف، دمشق (١٩٦٠)، ص ١٠؛ أبو عبيد، القاسم بن سلام، غريب الحديث، ط١،
حيدر آباد الدكن، الهند (١٩٦٤ - ١٩٦٧)، ٤/٤٩؛ السيوطي، الإتيقان، ٤/١٦٠.

٥١- السيوطي، الإتيقان، ١/٥٢.

٥٢- انظر على سبيل المثال: البخاري، محمد بن اسماعيل، أبو عبدالله، الجامع الصحيح،
٢٢٩/٦؛ ابن سعد، عبد الله بن محمد، أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، بيروت (١٩٥٧)،
٣٥٥/٢؛ الزركشي، البرهان، ١/٢٤١؛ السيوطي، الإتيقان، ١/١٩٩.

٥٣- انظر على سبيل المثال الأحاديث التي ذكرها البخاري في: صحيح البخاري، ٦/٣٣٦-٣٣٨؛
العيني، بدر الدين، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الطباعة المنيرية،
القاهرة (ب.ت)، ٢٠/٤٩.

٥٤- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة
(١٣٨٠)، ٩/٤٢.

٥٥- العتائق: جمع عتيق وهو القديم النفيس من كل شيء. والتلاد: كل مال قديم يورث عن
الآباء. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، طبعة بولاق (ب.ت)، مادة « تلد » ومادة
« عتيق ».

٥٦- البخاري، صحيح، ٦/٢٢٨؛ السيوطي، الإتيقان، ١/١٧٨.

٥٧- السيوطي، الإتيقان، ١/١٧٧-١٧٨.

٥٨- الداني، عثمان بن سعيد، أبو عمرو، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، دمشق
(١٩٤٠)، ص ١٩.

٥٩- رواه أحمد والترمذي وأبو داود والطبري وأخرجه ابن كثير في فضائل الأعمال والسيوطي في
الدر المنثور. انظر: ابن حنبل، أحمد، المسند، نشر المكتب الاسلامي، مطبعة دار صادر،
بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية (١٣١٣)، ١/٥٧؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث
السجستاني، السنن، مراجعة وتعليق وضبط، محمد محي الدين عبد الحميد، دار أحياء السنة
النبوية، القاهرة، (ب.ت)، ١/٢٠٨؛ الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى، سنن، نشر
المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (ب.ت)، ٨/٤٧٧-٤٧٨؛ الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر،
جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٢، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة (١٩٥٤)، ١/٣٤-٣٥؛

- ابن كثير، اسماعيل الدمشقي، أبو الفدا، فضائل القرآن، القاهرة (١٣٤٧)، ٣٥؛ السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، الناشر، محمد أمين دمج، مؤسسة الرسالة، بيروت (ب.ت)، ٢٠٧/٢.
- ٦٠- ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٢٤.
- ٦١- الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، للحافظ محمد النباركفوري، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة (١٩٦٧)، ٨/٤٨٠.
- ٦٢- النووي، شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية، القاهرة (١٣٤٩)، ١/٥٤؛ الحافظ الذهبي، ميزان الاعتدال في تفقد الرجال، مطبعة السعادة، القاهرة، (١٣٣٥)، ٢/٣٠٨-٣٠٩.
- ٦٣- أحمد بن حنبل، المستند، شرح وتعليق أحمد محمد شاكر، ط ١، دار المعارف، القاهرة (١٩٤٩)، ١/٣٢٩.
- ٦٤- البخاري، محمد اسماعيل، أبو عبدالله، الجامع الصحيح، مطبعة محمد صبيح، القاهرة (ب.ت)، ٦/٢٢٩؛ ابن سعد، محمد، أبو عبدالله، الطبقات الكبرى، بيروت (١٩٥٧)، ١٩٤/٢.
- ٦٥- السيوطي، الاتقان، ١/٦٥؛ اللوسي، شهاب الدين محمود، أبو الثناء، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة (ب.ت)، ١٠/٤٠-٤١.
- ٦٦- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٤/٤٠٧.
- ٦٧- نفس المرجع والصفحة.
- ٦٨- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٢٥٠.
- ٦٩- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/٦٤-٦٥.
- ٧٠- اللوسي، روح المعاني، ١/٢٧.
- ٧١- محمد أحمد يوسف القاسم، الاعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص ٢٨٢.
- ٧٢- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/٦٥.
- ٧٣- محمد أحمد يوسف القاسم، الاعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص ٢٨٢.
- ٧٤- صدر سورة التوبة قوله تعالى: 'وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء

من المشركين ورسوله' الى قوله تعالى: 'فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم' براءة ٣-٥.

٧٥- الانفال ٥٨.

٧٦- براءة ٦٠.

٧٧- براءة ٤٦.

٧٨- وذلك في قوله تعالى: 'واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل' الانفال ٤١.

٧٩- وذلك في قوله تعالى: 'انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عزيز حكيم' براءة ٦٠.

٨٠- السيوطي، تناسق الدرر، ٩٢-٩٣.

٨١- ذكر هذه المناسبات الزركشي في البرهان حرفياً، ويبدو ان السيوطي كان يقصده بقوله 'وقال بعضهم'. انظر: الزركشي البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٦.

٨٢- السيوطي، تناسق الدرر في تناسق السور، ص ٥٩.

٨٣- اخذها لاسيوطي عن الزركشي، انظر: البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٦٠.

٨٤- السيوطي، تناسق الدرر في تناسق الدرر، ص ٦٣-٧٠.

٨٥- نفس المرجع، ص ٧٥-٨٠.

٨٦- نفس المرجع، ص ٥٩.

٨٧- نفس المرجع والصفحة.

٨٨- نفس المرجع، انظر الصفحات: ٧٦-٧٧، ٩٥، ٩٧، ٩٩.

٨٩- المرجع لاسابق، ص ٧٤.

٩٠- هو أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر أبو العباس، توفي بدمشق سنة ٦٢٧. انظر: ابن العماد (ت ١٠٨٩)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة (١٣٥٠-١٣٥٣)، ٢٥/٣.

- ٩١- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٦٥.
- ٩٢- ختمت آل عمران بقوله تعالى: 'واتقوا الله لعلكم تفلحون'، وافتتحت سورة النساء بقوله: 'واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام'.
- ٩٣- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٧٦-٧٧.
- ٩٤- ختام المائدة قوله تعالى: 'لله ملك السماوات والارض ومن فيهن وهو على كل شيء قدير'، وأول النساء قوله تعالى: 'يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة' وهو دليل القدرة.
- ٩٥- بدء الخلق في النساء قوله تعالى: 'الذي خلقكم من نفس واحدة'، والتمهي في ختام سورة المائدة قوله تعالى: 'هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم'.
- ٩٦- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٨٢.
- ٩٧- المرجع لاسابق، ص ٨٣، الآية هي ٣٩/٧٥.
- ٩٨- الانعام ١٥٣.
- ٩٩- الاعراف ١٥٥.
- ١٠٠- الانعام ٣٠٢.
- ١٠١- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٨٨.
- ١٠٢- الحجر ٩٩.
- ١٠٣- النحل ١.
- ١٠٤- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٩٧.
- ١٠٥- يبدو أنه هنا الإمام الزركشي، فهو الذي قال بهذا القول. انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٢٦٠.
- ١٠٦- السيوطي، تناسق الدرر، ص ١٤٦.
- ١٠٧- المرجع السابق، ص ١٤٨.
- ١٠٨- وهو رأي الزركشي في البرهان، انظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٢٦٠.

- ١٠٩- السيوطي، تناسق الدر، ١٣٨-١٣٩.
- ١١٠- المرجع السابق، ص ٦٥.
- ١١١- عبدالرحمن البرقوقي، شرح التلخيص في علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزويني، دار الكتاب العربي، ط ٢ (١٩٣٢)، ٢٢١.
- ١١٢- يقصد قوله تعالى ' ذلك الكتاب لا ريب فيه ' ٢/٢.
- ١١٣- آل عمران ٣.
- ١١٤- وذلك قوله تعالى: ' هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ' آل عمران ٧.
- ١١٥- البقرة ٣.
- ١١٦- آل عمران ٣-٤.
- ١١٧- البقرة ١٩٠، ٢٤٤.
- ١١٨- البقرة ٢١٦.
- ١١٩- وذلك في قوله تعالى: ' ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ' إلى قوله تعالى: ' ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ' آل عمران ١٥٢-١٥٨.
- ١٢٠- آل عمران ١٧٠.
- ١٢١- البقرة ٢٤٧.
- ١٢٢- آل عمران ٢٦.
- ١٢٣- وذلك في قوله تعالى: ' الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ' البقرة ٣٧٥، وقوله تعالى: ' يحق الله الربا ويربي الصدقات ' البقرة ٢٧٦.
- ١٢٤- آل عمران ١٣٠.
- ١٢٥- البقرة ١٩٦.
- ١٢٦- آل عمران ٩٧.
- ١٢٧- آل عمران ٩٧.

- ١٢٨- آل عمران ٩٧ .
- ١٢٩- البقرة ٨٣ .
- ١٣٠- آل عمران ١١٣ .
- ١٣١- البقرة ١٩٣ .
- ١٣٢- البقرة ١٤٣ .
- ١٣٣- آل عمران ١١٠ .
- ١٣٤- آل عمران ١١٠ .
- ١٣٥- البقرة ١٨٨ .
- ١٣٦- آل عمران ٧٧ .
- ١٣٧- آل عمران ٧٥ .
- ١٣٨- السيوطي، تناسق الدرر، ص ٧٥-٧٨ .
- ١٣٩- نفس المرجع، ص، ٨٠-٨٢ .
- ١٤٠- نفس المرجع، ص، ٦٥ .
- ١٤١- نفس المرجع، ص، ١١٥ .
- ١٤٢- نفس المرجع، ص، ١١٧ .
- ١٤٣- المرجع السابق، ص، ٧٩ .
- ١٤٤- انظر السور القرآنية: ٩٨/١٥، ١٣/٢٠، ٥٥/٤٠، ٣٩/٥٠، ٤٨/٥٢ .
- ١٤٥- المرجع السابق، ص ٩٩ .
- ١٤٦- القصص ٤ .
- ١٤٧- العنكبوت ٣ .
- ١٤٨- السيوطي، تناسق الدرر، ١٠٩، وانظر حول هذا النوع كذلك في الصفحات ١١٢، ١١٣ .
- ١٤٩- وذلك في قوله تعالى: "إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد" الآية ٨٥ . للتفصيل، انظر: الطبري، تفسير ٨٠/٢٠ .

- ١٥٠- العنكبوت ٥٦.
- ١٥١- السيوطي، تناسق الدرر، ص ١٠٩.
- ١٥٢- المرجع السابق، ١٢٤.
- ١٥٣- الفرقان ٦٣.
- ١٥٤- الفرقان، ٧٢.
- ١٥٥- وذلك في قوله تعالى: 'والشعراء يتبعهم الغاؤون' إلى آخر السورة الكريمة. الشعراء ٢٢٤-٢٢٧.
- ١٥٦- السيوطي، تناسق الدرر، ١٠٧.
- ١٥٧- قصة داود وسليمان في قوله تعالى: 'ولقد آتينا داود وسليمان علماً' إلى قوله تعالى 'وأسلمت لله رب العالمين'. النمل، الآيات ١٥-٤٤.
- ١٥٨- السيوطي، تناسق الدرر، ص ١٠٧.
- ١٥٩- المرجع السابق، ص، ١٠٠.
- ١٦٠- قتال الكفار في سورة الفتح معروف، لأنها في فتح مكة، وقتال البغاة في سورة الحجرات جاء في قوله تعالى: 'وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي... الحجرات ٩.
- ١٦١- السيوطي، تناسق الدرر، ص ١١٨.
- ١٦٢- الواقعة ١.
- ١٦٣- الانشقاق ٣٧.
- ١٦٤- السيوطي، تناسق الدرر، ص ١٢١.
- ١٦٥- الطور ٤٩.
- ١٦٦- النجم ١.
- ١٦٧- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ١١٩.
- ١٦٨- وهو قول الإمام الزركشي. انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٦٠.
- ١٦٩- يقصد: ان بين الفاصلتين 'مسد' و' أحد توازن في اللفظ.

١٧٠- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ١٤٦.

١٧١- إن التقابل في رأي أكثر علماء البلاغة غير الطباق. فالتقابل أن يؤتي بمعنيين فأكثر ثم بما يقابل هذه المعاني، أما الطباق فلا يكون إلا بين معنى واحد وما يقابله. انظر الزملكاني، التبيان في علوم المطلع على إعجاز القرآن، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد (١٩٦٤)، ١٧١. ويوضح ابن أبي الأصبح هذا المفهوم بقوله: 'والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين: إحداهما: أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدّين فذّين، والمقابلة تكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر، وخمسة في العجز. والثاني: أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد'. انظر: ابن أبي الأصبح، تحرير التحرير، ١٧٩.

١٧٢- ابن أبي الأصبح، تحرير التحرير ١٧٩.

١٧٣- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة (١٩٥٢)، ٣٣٥/١؛ وانظر بالتفصيل عن المقابلات وأنواعها وشروطها والفرق بينها وبين غيرها في المصادر التالية: الحموي، علي بن حجة، أبو بكر، خزنة الأدب وغاية الأرب، القاهرة (١٣٠٤)، ٣٦٦؛ يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، القاهرة (١٩١٣)، ١٦٧، الرازي محمد بن عمر، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، القاهرة (١٣١٧)، ١١١؛ الخطيب القزويني، محمد عبدالرحمن، جلال الدين، الإيضاح تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، (ب.ت)، ٢٠٦؛ ابن مالك، أبو عبدالله محمد بن جمال، بلر الدين، المصباح (تلخيص القسم الثالث من نفتاح العلوم للسكاكي، القاهرة (١٣٤١)، ٩٩؛ ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة (١٩٣٩)، ١٨٣/٢.

١٧٤- الواقعة ١.

١٧٥- الانشقاق، ٣٧.

١٧٦- وذلك في قوله تعالى 'إذا رجت الأرض رجاً' الآية ٤.

١٧٧- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ١٢١.

١٧٨- المرجع السابق، ١٤٤-١٤٥.

١٧٩- عرفنا المناسبة أن الأضداد أخص من المقابلات. وأن المقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد. انظر: ابن أبي الأصبح تحرير التحرير ١٨٩، وانظر: المناسبة مباشرة.

١٨٠- نفس المرجع، ص ١١٩.

١٨١- وذلك في قوله تعالى: 'والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بأيمان ألحقنا بهم ذريتهم' الآية ٢١.

- ١٨٢- النجم ٣٢.
- ١٨٣- الطور ٢١.
- ١٨٤- النجم ٣٩.
- ١٨٥- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ١١٩.
- ١٨٦- قریش ٤.
- ١٨٧- قریش ٣.
- ١٨٨- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ١٤٤.
- ١٨٩- أخرجه الهيثمي عن أبي هريرة، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: إسناده حسن. انظر: الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحريه العراقي وابن حجر، نشر مكتبة القدس (ب.ت)، ١٩١/٢.
- ١٩٠- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ١٢٤.
- ١٩١- محمد أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسورة، ٤٠٥.
- ١٩٢- العسكري، أبو هلال، الصنائع، القاهرة (١٩٥٢)، ٢٠٠؛ المرتضى، الشريف، أمالي المرتضى، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (١٩٥٥)، ٥٢٢/١؛ ابن المعتبر، البديع، القاهرة (١٩٤٥)، ١٣٣؛ يحيى بن حمزة اليمني الطراز، القاهرة (١٩١٤)، ٢٦٦/٢، ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، تحقيق حنفي محمد شرف، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٩٦٣)، ١٦٨.
- ١٩٣- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة، القاهرة (١٩٥١)، ٤٨؛ النووي، نهاية الأرب، القاهرة (١٩٣٧)، ١٣٣/٧؛ ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، ١٦٨.
- ١٩٤- ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، ١٦٨.
- ١٩٥- طبع هذا الكتاب بتحقيق حنفي محمد شرف، القاهرة (١٩٦١).
- ١٩٦- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ٦٤.
- ١٩٧- الجرجاني، الوساطة، ٤٨؛ النووي، نهاية الأرب، ١٣٥/٧؛ الحموي، ابن حجة، خزنة الأدب، القاهرة (١٢٠٤)، ٤٦.
- ١٩٨- ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، ٦١٦.

- ١٩٩- نفس المرجع ١٢٠-٦٢١.
- ٢٠٠- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ٦١.
- ٢٠١- السيوطي، تناسق الدرر، ٦١-٦٢؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، ٦٥/١.
- ٢٠٢- السيوطي، تناسق الدرر، ٧٩-٨٠.
- ٢٠٣- نفس المرجع ١٥١.
- ٢٠٤- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ٦٩.
- ٢٠٥- نفس المرجع، ص ٨٠-٨١.
- ٢٠٦- المائدة ٦٠.
- ٢٠٧- المائدة ٧٧.
- ٢٠٨- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ٨١.
- ٢٠٩- قال تعالى هنا: ' حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ' إلى قوله تعالى: ' وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ' الآيات ٣-٥ المائدة. وانظر الآيات في سورة البقرة ١٧٢-١٧٣.
- ٢١٠- في سورة البقرة: ' يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان ' البقرة ١٦٨.
- ٢١١- المائدة ١٠٣-١٠٤.
- ٢١٢- في قوله تعالى: ' كتب عليكم القصاص في القتلى ' البقرة ١٧٨. وقوله تعالى: ' ولكم في القصاص حياة ' البقرة ١٧٩. وقوله تعالى: ' والحرمة قصاص ' البقرة ١٩٤.
- ٢١٣- المائدة ٣٢.
- ٢١٤- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ٨٠.
- ٢١٥- وذلك في قوله تعالى: ' يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ' إبراهيم الآية ١٧٠.
- ٢١٦- إبراهيم ٢٨.

- ٢١٧- وذلك في قوله تعالى عن العذاب: ' فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ' النحل ٢٩. وفي النعيم، قال تعالى: ' جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار ' النحل ٣٢.
- ٢١٨- إبراهيم ٤٦.
- ٢١٩- انظر هذه القضية في: الطبري، تفسير ١٦٠/٣.
- ٢٢٠- النحل، ٢٦.
- ٢٢١- إبراهيم ٣٤.
- ٢٢٢- السيوطي، تناسق الدرر، ٩٨.
- ٢٢٣- ابن أبي الأصم، تحرير التحبير، ١٧٩، وانظر تفصيل ذلك في هذا البحث، موضوع المقابلات، ص ٢٤.
- ٢٢٤- نفس المرجع، ٧٩-٨٠.
- ٢٢٥- السيوطي، تناسق الدرر، ١٥١/٥١؛ وانظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٥٣٨-٥٣٩/٨.
- ٢٢٦- السيوطي، تناسق الدرر، ٦٩.
- ٢٢٧- نفس المرجع، ٩٦.
- ٢٢٨- المرجع السابق، ص، ١٣٥.
- ٢٢٩- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢٨٧/٧.
- ٢٣٠- السيوطي، تناسق الدرر، ١٤٢.
- ٢٣١- المرجع السابق، ٦٩.
- ٢٣٢- السيوطي، الاتقان، ٩٧/١ نقلاً عن محمد بن الحارث.
- ٢٣٣- السيوطي، تناسق الدرر، ص، ٩٥.
- ٢٣٤- السيوطي، الاتقان، ٩٧/١.
- ٢٣٥- السيوطي، تناسق الدرر، ١٢٨-١٢٩.
- ٢٣٦- السيوطي، تناسق الدرر، ١٤٨.

- ٢٣٧- نفس المرجع، ١٤٤.
- ٢٣٨- نفس المرجع، ١٤٨-١٥٢.
- ٢٣٩- نفس المرجع، ١٤٨.
- ٢٤٠- الزمخشري، محمود عمر جار الله (ت ٥٣٨) الكشف عن حقائق التنزيل، القاهرة (١٣١٩)، ٤/١.
- ٢٤١- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، ٦٥/١.
- ٢٤٢- البيضاوي، تفسير حاشية الشهاب الخفاجي، ٣٥/١.
- ٢٤٣- الغزالي، أبو حامد، خواص القرآن الكريم، ٣٧.
- ٢٤٤- السيوطي، تناسق الدرر، ١٤٤.
- ٢٤٥- الزحيلي، وهبة، التفسير الميسر في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، دار الفكر، بيروت، (١٩٩١) ٤١٢/٣٠.
- ٢٤٦- السيوطي، تناسق الدرر، ١٤٨.
- ٢٤٧- المرجع السابق، ٥٤-٥٥.
- ٢٤٨- المرجع السابق، انظر مثلاً:
- ١٢٧، ١١٣، ١١٢، ١١٠، ١٠٩، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ٩٩، ٩٧، ٩١، ٨٥، ٨١، ٧٩، ٧٤، ٧٠.
- ٢٤٩- المرجع السابق، ١٤٨.
- ٢٥٠- انظر، على سبيل المثال، الغماري، عبدالله محمد الصديق، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مطبعة محمد عاطف وشركائه، القاهرة (ب.ت)؛ محمد رشيد رضا، تفسير المنار؛ محمد عبده، تفسير جزء عم، ط١، الأميرية، القاهرة (١٣٧٣)؛ محمود شلتوت، تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم، ط٤، دار القلم، القاهرة (١٩٦٦)؛ ابن شهيد ميسلون، نظرة المعجلان في اغراض القرآن؛ الزحيلي، وهبة، التفسير الميسر في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، دار الفكر، بيروت (١٩٩١).
- ٢٥١- انظر، الغماري، كتاب جواهر البيان في تناسب سور القرآن، حيث أخذ من السيوطي على سبيل المثال لا الحصر ترتيبه للسور التالية، البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، ص، ٢٥-٢٦.
- ٢٥٢- السيوطي، تناسق الدرر، ١٠٤.
- ٢٥٣- المرجع السابق، ٥٣.
- ٢٥٤- محمد عبدالله دراز، النبأ العظيم، مطبعة دار السعادة، القاهرة (١٩٦٠)، ص ١٥٣.